10me Année No. 488 — Lundi - 9 - 11 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٨ — « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ نوفمبر سنة ١٩٤٢ » — السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

١٠٣٣ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... . .
١٠٣٥ « حديث عيسى بن هشام » : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٠٣٨ « أرواح وأشباح » ... : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
١٠٤٠ عقيدة البعث ... ... : الأستاذ محمد عرفة ... ...
١٠٤١ من حرب الخنادق إلى حرب الحركة ... ... : الأستاذ (ذ . س) ... ...
١٠٤٣ مشاركة الأدب الانجليزى فى الدراسات العربية ... : الأستاذ عبد الوهاب الأمين
١٠٤٥ أرسطقراطية الوضاعة ... : الأستاذ إسماعيل مظهر ...
١٠٤٧ المستشرقون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم ... ... : المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٠٤٩ حول حديث عيسى بن هشام : الأديب ابراهيم اليازجى ...
١٠٥٠ اللغة والتعريب ... ... : الأستاذ محمد مندور ...
١٠٥١ سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٠٥١ الشاعر المظلوم ... ... : الأستاذ على فودة ... ...

دفاع عن البلاغة

أسباب التنكر للبلاغة ، البلاغة ، الذوق ، الأسلوب

السرعة ، والصحافة ، والتطفل ، هى البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر

فالسرعة — وهى جناية اختراع الآلة على الناس — كانت جريرتها على الفكر بوجه أعم ، أن استحال تقدير القيم التى يحتاج وزنها إلى الروية والتأمل ، أو إلى الأناة والصبر ، فظهر الخبيث فى صورة الطيب ، ودخل الردىء فى حكم الجيد ، وقيس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة !

وكانت جريرتها على البلاغة بوجه أخص ، أنها أصابت الأذهان فلم تملك أن تحيط بالأطراف ، ولا أن تغوص إلى الأعماق ، بفاء أكثر ما تنتج من الزبد الذى لا رجع منه ولا بقاء له .

وأصابت الأفهام فلم تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام ، فكان أغلب ما تقرأ من الأدب الخفيف الذى لا غناء فيه ولا وزن له

وأصابت الأذواق فلم تستطع أن تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة ، فاختلط الحلو ، بالمر ، والتبس الفج بالناضج .

فالكاتب البليغ قد يعجله الحافز الملح عن تعهد كلامه فيأتى بالركيك التافه . والكلام البليغ قد يسرع فيه النظر

فلا يفطن الذهن إلى عبقريات الفن فى تصوره وتصويره فيذهب فى ذمة الفث . وقد تقع السرعة خطأ فى موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطاً فى حسن الإنتاج . وربما عابوا الكاتب المروّى بالإبطاء وغمزوه بالتجويد وسفهوا قول الحكيم القائل : « لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون فى كم فرغ ، وإنما يسألون عن جودته وإتقانه » .

* * *

والصحافة — وهى من فنون الأدب المستحدثة — كانت جريرتها على البلاغة أنها أوشكت أن تستبد بالمجال الحيوى للكتابة . وليس فى هذا الأمر على ظاهره نكير ولا مؤاخذة ، ولكن عمل الصحافة رواية الأخبار العالمية ، وتسجيل الأحداث اليومية ، ونشر الثقافة العامة ؛ وهى فى كل أولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والإسفاف والمط مراعاة للموضوعات التى تكتب فيها ، وللطبقات التى تكتب لها ، وللسرعة التى تعمل بها . ولو كان للصحافة كتابها وللتأليف كُتّابه لما لقيت البلاغة منها أذاة ولا مضرة ؛ ولكن حالها مع الكتاب كحال السينما مع المسرح . فهى أوفر فى المال ، وأقوى فى السلطان ، وأوسع فى الانتشار ، وأشمل فى المعرفة ، وأغنى فى الوسائل ، ولذلك غلبت الكتاب على أمراء القلم ؛ فهم يعملون فيها على ما تقتضيه أحوالها من مجاوبة السرعة وتوخى السهولة وإيثار العامية . وللصحافة سبعة أبواب لا يدخل بلغاء الكتاب إلا من باب واحد . أما سائر الأبواب فهى لأنماط من ذوى الثقافات المختلفة هيأتهم ملكاتهم ونزعاتهم ليكونوا جنوداً فى جيش « صاحبة الجلالة » ، فحملوا القلم لأنهم لا بد أن يكتبوا ، ثم حملهم إدمان الكتابة ومواتاة النشر على أن يعالجوا الأدب الرفيع فقعد بأكثرهم وهن السليقة وضعف الاطلاع عن مجاراة الموهوبين من أهله ؛ فسوّل لهم الغرور أن يخفضوا مستوى البلاغة ، ويبتذلوا حَرَم الفن ، ويوهموا الناس أن أدب الدهماء هو أدب المستقبل ، لأن العصر عصر السرعة ، ولأن الشأن شأن العامة ، ولأن الديمقراطية تقضى باختيار لغة الشعب وإيثار أدبه . وما داموا هم الكثرة وقراؤهم هم الكثرة ؛ فإنهم بحكم الديمقراطية يملكون وحدهم حق التشريع فى الأدب : فينهجون القواعد ، ويقررون الأساليب ، ويعينون الكتاب ويوجهون الرأى

من أجل ذلك طغت العامية ، وفشت الركاكة ، وفسد الذوق ، وأصبحت العناية بجمال الأسلوب تكلفاً فى الأداء ، والمحافظة على سر البلاغة رجعة إلى الوراء ، ولم يبق للمخلصين للغة الوحى وأدب الرسالة إلا أن يكتبوا لأنفسهم ولمن يعصمهم الله من أعقاب هذا الجيل

على أن العامية الأدبية عرض من أعراض العامية الاجتماعية . فمتى برئ المجتمع من أمراض الضعة فجنح للقوة وطمح للكمال ، ظهرت الأصالة فى فكره ، والمتانة فى خلقه ، والسلامة فى ذوقه ؛ وحينئذ يتكون الرأى الأدبى العام ، وهو وحده الذى يراقب ويحاسب ، ويؤيد ويعارض ، فلا تجوز عليه دعوى ، ولا ينفق فيه زيف ، ولا يطفر به مَتوف

* * *

أما التطفل فقد رأيته ظاهر الأثر على موائد الصحافة ! ولكن هناك ضرباً من التطفل المغرور يجوز أن نُفْرده بالذكر : ذلك هو تطفل فئة من أرباب المناصب لا يقدح فى كفايتهم ألا يكونوا كتاباً ولا شعراء ؛ ولكنهم يأبون إلا أن يضموا المجد من جميع حواشيه فيتكلفون ما ليس فى طباعهم من صناعة البيان فيقمون فى النقص وهم يريدون الكمال !

قد ينبغ أولئك السادة فيما يُمْلك بالتحصيل والمزاولة ، كالتعليم والتأليف والمحاماة والسياسة ؛ ولكنهم أعجز من أن يخلقوا فى رؤوسهم ملكة الفن بمجرد الإرادة أو الأمر أو الادعاء . فإصرارهم على أن يُعدوا فى كبار الكتاب على ما فيهم من تخلف الطبع وخمود القريحة وضعف الأداة ، دفعهم إلى مشايعة الجهلاء فى تنقُّص البلاغة وخفض مستواها إلى الدرك الذى لا يعز منالُه على القاعد . وهذه المشايعة من قوم لهم فى التوجيه الثقافى رأى مسموع وأثر ملحوظ أخطر على البلاغة من كل ما تعانيه فى هذه المحنة

لذلك كان من البر بالأدب والإخلاص للفن أن نتقدم إلى قرائنا بهذه الفصول .

« الكلام بقية »

أحمد حسن الزيات